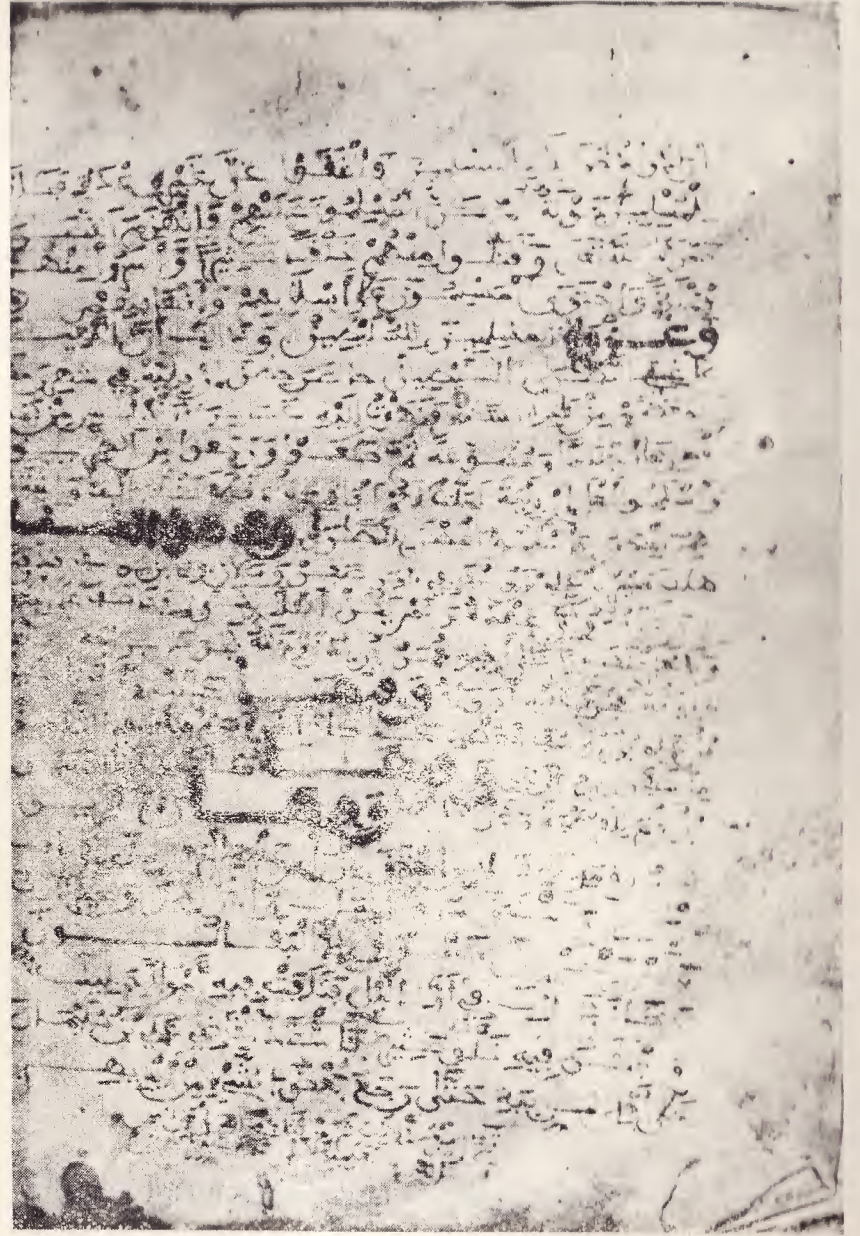


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله

الجزء السادس من الكتاب
في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار
القرن السادس
وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة
مما يتشوف إليه



الورقة الأخيرة (82) ظهر

مقدمة لذلك :

أخبار بني العباس في المشرق
والمغفلين عليهم بالشام والعراق ومصر والحرمين

لم ينته منها إلى المغرب الاقصى شيء يدون ولا أهم الناس من أمر رواية الآثار ما كان يهم الأولين حتى يأخذوها من صدور الرجال وألسنة الرواة ويودعوها بطون المهاريق ، فحفي أمرها إلا ما سنوده إن شاء الله تعالى من أسمائهم ومدد بعضهم ، فقد انتهى إلينا بعد شدة البحث والتفتيش ، فنحن نكتبه إن شاء الله تعالى ، وإلا يسيرا من اخبار مصر وإفريقية سنوده حيث يجب ان شاء الله تعالى .

باب

أخبار * السنة الاولى من المائة السادسة

[2]

رحلة المهدي ابن تومرت إلى المشرق :

من ذلك رحلة الإمام المعصوم المهدي المعلوم - رضي الله تعالى عنه - في طلب العلم إلى المشرق والاندلس (1) .

قال الشيخ أبو يحيى زكريا بن يحيى بن وسار (2) من أهل

(1) يتفق سائر مؤرخي الدولة الموحدية على أن رحلة محمد بن تومرت المهدي كانت في رأس المائة السادسة ، ولو أن بعضهم يجعلها في سنة 500 وبعضهم يقول إنها كانت في شهر سنة 501 (انظر ابن عذاري : البيان المغرب 303/1 : والخلل الموشية ص 103 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 245 ؛ وابن خلدون : العبر 226/6 ؛ والسلاوي : الاستقصا 76/2) .

(2) في الاصل : يحيى بن سنان والصواب ما أثبتنا ، والمعنى بقوله « من أهل الخمسين » هو يحيى ابن وسار والد أبي يحيى زكريا المذكور وستحدث عنه ابن القطان فيما بعد ، كذلك أشار إليه صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الاصحاب » (كتاب أخبار المهدي ابن تومرت ص 35) وقال إنه كان من صنهاجة ، وربما كان يحيى هذا ابناً لأبي محمد وسار او واسار الذي فصل الكلام عنه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 422) فقال ان البعض كانوا يعلونه من أهل الجماعة وأنه كان رجلاً =

هنا ما جاء في الأنساب
ص 3

ويضم البقرة رقم 80 عند أبيه
من ولد وسار ما ذكره ابن
مروديس في تاريخه المسمى بالبرق

الخمسين⁽¹⁾ - أعزهم الله تعالى - إن الامام المهدي رضي الله تعالى عنه - جاز البحر إلى الاندلس طالبا للعلم ، ووصل قرطبة . ثم مشى من قرطبة إلى المرية ، فدخل منها في مركب إلى المشرق ، وغاب في رحلته في طلب العلم خمسة عشر عاما .

فابتداء رحلته - رضي الله تعالى عنه - المذكورة على هذا كانت في السنة الأولى من المائة السادسة أو⁽²⁾ في التي قبلها ، لأن وصول * الامام المهدي - رضي الله تعالى عنه - من رحلته إلى بلاده - رضي الله تعالى عنه - كان سنة أربع عشرة⁽³⁾ كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر أبو القاسم المؤمن⁽⁴⁾ في كتابه في فضائل المهدي ، رضي الله تعالى عنه :

كان عام واحد وخمسمائة ، عاهده فيها أهل التحقيق من العارفين به - رضي الله تعالى عنه - وباعوه ببيعة سر ، وإن هذا عن حديث أثر فيه ووعد نبوي كريم به ، والله تعالى أعلم .

دباغاً أسود من أهل مدينة أغمات صحب ابن تومرت حين مر بها فاخصه بخدمته لما رأى من شدته في دينه وكمائه لما يرى ويسمع ، فكان يتولى وضوءه وسواكه والاذن عليه للناس وصحبته والخروج بين يديه فلما مات ابن تومرت صار يخدم ضريحه وضريح عبد المؤمن حين دفن هناك وتوفي في صدر دولة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . وفي « مجموع الرسائل الموحدية » الذي نشره ليفي بروفنسال رسالة موجهة من عبد المؤمن بن علي إلى الشيخ أبي محمد وسنار هذا (انظر ص 26 - 34) .

(1) أهل الخمسين « إحدى طبقات الموحدين على ما سيأتي تفصيله .

(2) في الاصل : وفي .

(3) في الاصل : عشر .

(4) لسنا نعرف شيئا عن « أبي القاسم المؤمن » المذكور مؤلف كتاب « فضائل المهدي » الا ما ذكره صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الأصحاب » (كتاب أخبار المهدي بن تومرت ص 30 - 31) حيث ينقل المؤلف عن أبي القاسم المؤمن هذا نصاً يورد فيه أسماء أصحاب المهدي بن تومرت في بلاد مصر ، ويضيف المؤلف الى اسمه لقب « المصري » مما يحدد لنا بلد ذلك الكاتب ، على أن ليفي بروفنسال في تعليقه على الترجمة الفرنسية للكتاب (ص 46 - 47) شك في صحة الاسماء التي ذكرها أبو القاسم المؤمن ورجح أنها مختلفة .

أخبار الاندلس - وقعة أقلش

وفيها الجهاد في سبيل الله تعالى الذي كانت فيه وقعة أقلش⁽¹⁾ بالاندلس والمناجها .

وهي من غر الوقائع وجليها ، وشرح شأنها أن ابن أبي رنقى⁽²⁾ صاحب قرطبة في ذلك التاريخ وجماعة الرؤساء * بالاندلس خاطب بعضهم بعضاً في [أ 3] الدواخل إلى أقلش ، وكان ألبار هانش⁽³⁾ ⁽⁴⁾ للنصارى بجهة برتقال ، وقتله لهم وعينه في بلاد الشرك بتلك الجهة⁽⁵⁾

(1) عن حصن أقلش أو أقليم Ucles الذي دارت لديه هذه المعركة بين المرابطين والنصارى وهي الواقعة التي انتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة وبمصرع ابنه الأمير شائجه - انظر كتاب الأستاذ أمبروسيو أويشي ميراندا عن « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحية » ص 103 - 134 حيث يخصص موقعة أقلش بحث مفصل ، وقد ترجم ذلك البحث إلى العربية ونشر تحت عنوان « وقعة أقلش ومصرع الأمير شائجه » في مجلة تطوان سنة 1957 ، العدد الثاني ص 115 - 130 . وقد اعتمد أويشي في ذلك المقال على ثلاثة نصوص عربية جديدة أولها نص ابن القطان هنا : وثانيها الرسالة التي وجهها تميم بن يوسف بن تاشفين إلى أخيه أمير المسلمين عن هذا الفتح ، وقد نشر نص هذه الرسالة من قبل الدكتور حسين مؤنس في بحثه عن « الثغر الأعلى الاندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة » (مجلة كلية الآداب بالقاهرة - المجلد الحادي عشر - الجزء الثاني ديسمبر سنة 1949 ص 91 - 143) والثالث نص مخطوط من كتاب « البيان المغرب » (مخطوط تاجمروت) وهو القسم المرابطي من البيان الذي نشر بعد ذلك في بيروت سنة 1967 . انظر ص 49 - 50 وانظر كذلك كتاب بوسك بيلا عن « المرابطين » ص 180 وما بعدها وما أورده من مراجع .

(2) ورد هذا الاسم في مفاخر البربر ص 81 : « ابن أبي رنق » وكان على ما يذكر المؤلف رابع عامل للمرابطيين على قرطبة (انظر مقال أويشي ميراندا « علي بن يوسف وأعماله بالاندلس » - مجلة تامودا - تطوان سنة 1959 - ص 110) .

(3) هو القائد القشتالي المسيحي Alvar Fanez ابن أخي السيد القنبيطور ، وكان من كبار قواد ألفونسو السادس . انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ط . دار المنصور ، الرباط 1973 ، ص 159 - 160 وراجع ما كتبه عنه العلامة الاسباني منتدث بيدال : إسبانيا في عصر السيد (الفهرس العام) .

(4) بياض في الاصل .

(5) ينهى ابن القطان هنا الحديث عن موقعة أقلش ليتحدث عن بقية أخبار سنة 501 ، إلا أننا لا نلبث أن نراه يعود إلى الكلام بتفصيل أكثر عن أقلش في أول الورقة السابعة مما حملنا على إلحاق ذلك بهذا الموضوع حرصاً على التسلسل التاريخي .

« ... عساكر المسلمين إلى أقليمش ، فاقتحموها عليهم ، ولجأ من كان أسفلها من النصارى إلى القصبه العليا ، ونزلت جميع العساكر عليها وأحاطوا بها ، فأرسل أذفونش ابنه ⁽¹⁾ بنحو عشرة آلاف فارس لاغاثة أقليمش ومدافعة المسلمين ، فأتوا والتقوا مع المسلمين ، وتصافت عند ذلك العساكر ، وكان مع ابن أذفونش ألبار هانش وغرسيا ردونس ⁽²⁾ ، وهو المدعو بالفم المعوج وغيرها من صناديد الكفرة ، فتوقفوا .

وذكروا أن النصارى سألوا عن عسكر قرطبة ، فأخبروا به . فهجموا على عسكر قرطبة ، وحملوا عليهم حملة ⁽³⁾ منكرة ، فانهمزم عسكر قرطبة ،

(1) يعنى شانجه Sancho الذي كان يبلغ في ذلك الوقت نحو خمس عشرة سنة . ويذكر ابن أبي رر عن ألفونسو السادس حينما علم أن تميم بن يوسف بن تاشفين أخا أمير المسلمين علي بن يوسف هو قائد الجيوش المسلمة « أشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضا عنه فيكون مواجهها تميم ، لأن تميم ابن ملك المسلمين وشانجه ابن ملك الروم ، فسمع منها » (روض القرطاس 160) .

(2) هما القائدان القومس (الكونت) Alvar Fañez والكونت Garcia Ordoñez وكان يرافقهما عدد آخر من كبار قوامس قشتالة مما جعل معركة أقليمش تعرف في كتب التاريخ المسيحية باسم « معركة القوامس السبعة » (انظر منندث بيدال : إسبانيا في عصر السيد 760/2 - 764 : ومقال أويشي عن « وقعة أقليمش » ، وبوسك بيللا : المرابطون ص 182) . وقد وردت الإشارة إلى ألبار هانش كذلك في الرسالة التي كتبها ابن شرف عن أحد رؤساء الغرب إلى أمير المسلمين بمناسبة هذا الفتح ، وهي الرسالة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس في مقاله « الثغر الأعلى الأندلسي ... » (ص 127 والهامشية رقم 2 حيث يوجد تعريف كاف بشخصية هذا القائد ، ويؤخذ منه أنه كان ابن أخ للمغامر القشتالي « السيد القنيطور » الذي استولى على بلنسية ، وولى ألبار هانش القيادة لألفونسو السادس فاتح طليطلة ثم أقامه هذا حاكما للمدينة فقام بالدفاع عنها حين حاصرها المرابطون بعد انتصارهم في أقليمش ، وكانت وفاته في سنة 1114 م . (507 هـ) على يد أهل شقوية Segovia في المعارك الدائرة بين ألفونسو المحارب صاحب أرغون Aragon وأراكة Urraca صاحبة ليون وقشتالة . أما غرسيا أو ردونس (غرسيا ردونس) فقد ورد ذكره أيضا في رسالة ابن شرف التي أشرنا إليها (انظر مقال « الثغر الأندلسي .. » ص 130 والهامشية رقم 2 حيث ذكر ناشر الرسالة الدكتور حسين مؤنس أنه كان قائدا قشتاليا من فرسان شانجه (الثاني) ملك ليون ثم أصبح من أتباع ألفنش (السادس) ملك قشتالة ، وكان من المدافعين عن حصن لبيط Aledo حينما قام المرابطون بحصاره ، ولقي مصرعه في وقعة أقليمش هذه .

(3) في الاصل : جملة .

ومشت الهزيمة عليهم اميالا ⁽¹⁾ .

ثم إن ابن عائشة ⁽²⁾ وابن فاطمة ⁽³⁾ ، وهما صاحبا ⁽⁴⁾ مرسية وبلنسية هاجما محلة النصارى ، فانتبهاها وقتلا من وجدا فيها ، ثم ركبا أقفاء النصارى بالقتل وهم يتبعون المسلمين ، ثم التأم بهم تميم * بن يوسف ⁽⁵⁾ صاحب غرناطة

(1) ما يذكره ابن القطان هنا من هزيمة عسكر قرطبة أولا ثابت يؤكد كذلك ابن شرف في رسالته التي أشرنا إليها ، وهذا العسكر كان يقوده والى قرطبة ابن أبي رنفي كما يقول ابن القطان (ويسميه ابن شرف : أبا عبد الله محمد بن أبي رنفي) وكان هذا العسكر أول من تلقى صدمة الجيوش المسيحية (انظر الدكتور حسين مؤنس : الثغر الأعلى ص 129) .

(2) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين علي ، ويعرف بابن عائشة ، وكان من أعظم قواد المرابطين ، واضطلع بإقرار أحوال شرق الأندلس بعد أن عاث السيد القنيطور فيها فسادا ، وولى عمل مرسية منذ أواخر القرن الخامس والسنوات الأولى من القرن السادس ، ويشير ابن القطان هنا إلى اشتراكه في موقعة أقليمش سنة 501 ، وفي سنة 504 يسرع من مرسية لنجدة محمد بن الحاج عامل سرقسطة حينما ألح عليها ألفونسو المحارب ملك أرغون بالحصار ، ويضطره للانسحاب ، وفي سنة 508 يشترك مع ابن الحاج في غزو برشلونة وهي تلك الحملة التي انتهت بهزيمة البورت ، وخلص منها ابن عائشة إلا أن بصره اعتل بعدها ثم لم يلبث أن عمى ، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين إليه ، وعين بدلا منه على مرسية أخاه إبراهيم بن يوسف (انظر مقال فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في كتاب « دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس » ، المجلد السابع ص 105 - 109 ، وأويشي : علي بن يوسف ... ص 87 - 94 ، 114) .

(3) أبو محمد عبد الله بن فاطمة من أعظم قواد المرابطين وأشهر رجالاتهم في الأندلس ، اشترك في الحملة التي استنقذ المرابطون فيها بلنسية بعد وفاة السيد القنيطور إذ أنه قاد جيشا أمد به القائد مزدلي بن سلكان في سنة 495 ، وفي سنة 497 اشترك مع ابن الحاج في غزو طليطلة وطلبيرة ، ثم ولى بلنسية وشرق الأندلس بعد ذلك واستولى في نفس السنة على مملكة بني رزين الصغيرة وفي سنة 501 اشترك في فتح أقليمش كما نرى من النص هنا ، وفي سنة 503 عزل عن بلنسية وولى على غرناطة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى فاس بالمغرب عاملا عليها في سنة 504 ، وفي سنة 509 عاد إلى الأندلس عاملا على إشبيلية فحكمها حتى توفي في رمضان سنة 511 (انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمجريد سنة 1959 - 1960 ص 152 - 155) .

(4) في الاصل : صاحب .

(5) تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف ، وقد ولي حكم غرناطة بين سنتي 500 و 503 ثم نقل إلى حكم تلمسان بالمغرب ، وعاد بعد ذلك إلى الأندلس فتولى غرناطة مرة أخرى فيها =

بعسكره ، وكرت ⁽¹⁾ المنهزمة ، ورجعوا على المشركين . والتحمت الحرب بينهم ، فانهمز المشركون وقتلوا قتلا ذريعا ، واتبعهم المسلمون إلى قرب حصن بلشون ⁽²⁾ فيذكر أن ابن أذفونش أفلت في ثمانية من النصارى ورجع إلى حصن بلشون ، وكان فيه لهم رعية من المسلمين ، فاقتبأوا عندهم رجاء أن يسلموا من القتل ، فقتلوههم وقتل منهم ولد أذفونش .

ثم إن المسلمين رجعوا إلى قصبة أقليش ⁽³⁾ وقتالها ، وتصعب عليهم أمرها فأقلعت العساكر عنها وكمنت على بعد . فخرج من فيها هارين . فقبض عليهم ، فقتل من قتل ، وأسر الباقون ، ودخلت أقليش وحصلت بأيدي المسلمين . واستشهد في هذه الواقعة الامام الجزولي ⁽⁴⁾ ، وكان رجل صدق ، وجماعة من الاعيان والعربان ⁽⁵⁾ رحمهم الله تعالى ، ليقرأوا بعض الحق في قلوب الناس .

- بين سنتي 515 و 516 . ويعدها نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور ، ثم أصبح عاملا على قرطبة وقرطبة في سنة 519 في الوقت الذي قام فيه ألفونسو الأول بحملته ضد الأندلس ، ويبدو أن أحياه عليا عزله عن قرطبة لقلّة بلائه في هذه الحملة ، وفي تاريخ وفاته خلاف ، والأرجح أنه توفي سنة 520 (انظر مقال أويشي : علي بن يوسف ص 100 - 112) .

(1) في الأصل : وكرة .

(2) في الأصل : يلسون ، والصواب ما أثبتنا ، وهو بالاسبانية Belinchon .

(3) في الأصل : أقليش .

(4) لم نهند إلى شخصية الجزولي هذا ، وربما كان أحد أسلاف العالم المغربي الكبير أبي موسى عيسى ابن عبد العزيز بن يلبخت نسبة إلى جزولة إحدى قبائل البربر وكانت تقطن في جنوب المغرب الأقصى وتوفي أبو موسى الجزولي فيما بين بين سنتي 606 و 610 (انظر دائرة المعارف الإسلامية 1/ 1061 - 1062 والمراجع المذكورة) .

(5) يبدو أن طائفة من عرب إفريقية جازوا إلى الأندلس في أيام المرابطين برسم الجهاد كما نبه على ذلك الدكتور حسين مؤنس « الثغر الأعلى الأندلسي ... ص 129 حاشية 2 » وذلك في معرض التعليق على ما ورد في رسالة ابن شرف حول فتح أقليش عن بلاء بعض الفرسان « العرب » في تلك الموقعة ، وسيشارك هؤلاء العرب في الجهاد بالأندلس بشكل أوضح على أيام المرابطين .

وأدلت ⁽¹⁾ هذه الأبواب لتكون تنفيذا ⁽²⁾ لهم عن سماعه ، فضلا عما عدا ذلك ⁽³⁾ .

(ما أخذ المرابطين على الموحدين)

فمن ذلك أنهم قالوا : « هذا رجل يكفر الناس بالذنوب ، ويمنع من الصلاة على أهل القبلة ، ويقول إنه من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات ، ويرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها ، واطرح مذاهب العلماء وقديهم ، وخرج من الإجماع ، وكفر المسلمين ، واستحل الحرام الجمع على تحريمه ، واستحل دماء المسلمين ، واستحل أموالهم ، واستحل حريمهم ، وجعل أموال المسلمين غنيمة تخمس كما تخمس أموال النصارى ، وقام على الأمراء ونزع يده من طاعتهم ، وقد أجمع المسلمون على تحريم القيام عليهم ووجوب طاعتهم .

فهذه الأبواب نسبونا فيها ⁽⁴⁾ إلى الكفر والضلال ⁽⁵⁾ والخروج من الدين ، فسوا أهل التوحيد خوارج وجعلوهم مبتدعين ، ونسبوهم إلى الخروج من الدين !

وهيهات ! فما بعد الحق إلا الضلال ⁽⁶⁾ ، فليس للانسان ما تمنى ، ولا يبلغ بغيته جهواه ، ولا يفوت قوله بدعواه ، فجميع ما قالوه تحريف وتشنيع ، بل هو بالضد مما قالوه ، وباختلاف ما اختلقوه . فمعاذ الله أن نكفر ⁽⁷⁾ مسلما

(1) في الأصل : ودلة .

(2) في الأصل : تنفيذا .

(3) تبدو هذه الجملة غير واضحة المعنى ، ولعله يعني أن المرابطين أدلوا على جمهور المسلمين بهذه الموقعة وأمثالها مما انتصروا فيه حتى يصرفوهم عن دعوة محمد بن تومرت المهدي وينفروهم عن الاستماع إليه . ويدل على ذلك أن الفقرات التالية تتضمن إيرادا للتم التي كان المرابطون يرمون بها الدعوة الموحدية وتفنيدا لتلك الاتهامات .

(4) زيادة يقتضيها السياق .

(5) في الأصل : والظلال .

(6) في الأصل : الظلال .

(7) في الأصل : يكفر .

كما قالوه ، أو تمنع من الصلاة على أهل القبلة ، أو نسقط الحقوق أو العبادات بالثوبة ، أو نطرح أئمة الدين وعلماء الأمة ، أو نرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها من غير حق وزوج ، أو نخرج عن اجماع المسلمين ، أو نخالف أئمة المسلمين وأمرائهم . فهذه جملة ما نسبوا إلينا ، ولم نقل منه حرفا واحدا ، لكن حرفوا ما قلنا . ودلسوا به على الناس حتى أضلوا بتدليسهم كثيرا ، وقطعوه عن ربهم ، وفتنوه في دينهم ، والذي قالوه ما يقوله أحد من المسلمين لا من العوام ولا من الخواص ، ولا تنسب الأبواب التي عدوها إلى مؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن الدنيا حملتهم على الافتراء على الله عز وجل ورسوله ﷺ .

والذي قلته معلوم محفوظ عند كثير من الناس أعلننا به في المحافل والجموع ، لا يمكن لأحد أن يبده أو يزيد فيه إلا علم ذلك لتغريبه وانتشاره : فمن ذلك ان قلنا لهم أجمعت الأمة على ان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين من التحيز والاتصال والانفصال في الصورة والجوارح والجهات والحدود والهيئة وغير ذلك من آلات الحدث (1) ...

[بقية أخبار سنة 501]

« وعزل (2) تاشفين بن سليمان (3) عن قرطبة . وولاية محمد بن سليمان (4) إياها .

(1) ينقطع النص هنا ، وقد سقطت من هذا الموضع ورقة أو أكثر .

(2) بقية أخبار هذه السنة في الورقة (3 أ) ، والأصل كثير الاضطراب في ترتيب السنين مما حملنا على تغيير نظامه واتباع التسلسل التاريخي على قدر ما استطعنا .

(3) كان عامل قرطبة في سنة 501 التي وقعت فيها غزوة أقليش هو « ابن أبي رنغي » على ما ذكر ابن القطان نفسه في حديثه السابق عن تلك الغزوة - وهو الذي يسميه ابن عذاري « ابن أبي رنق » ويسميه ابن أبي زرع في روض القرطاس « محمد بن أبي زلفي » (ص 158) ، ولم يسبق أن ذكر ابن القطان أن هذا العامل عزل عن قرطبة وأن واليها بعده هو تاشفين بن سليمان المذكور هنا . على أن ولاية تاشفين هذا لقرطبة يؤكدنا لنا كذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 81) وهو يزيدنا على اسمه كنية : « أبا محمد » ويسميه القائد جاعلا إياه بعد أبي محمد مزدل بن سلتكان .

(4) لعله هو الذي جاء في قائمة ولادة قرطبة في « مفاخر البربر » (ص 81) باسم « القائد أبي عبد الله بن نونان » .

والعباسي في هذه السنة المستظهر (1) بالله تعالى كما كان .
وأمر لإفريقية علي بن يحيى بن تميم (2) .

باب أخبار سنة ثلاث وخمسمائة :

[غزوة طليبة]

« فمنا الجهاد ، وذلك في غزوة طليبة وفتحها (3) ، وذلك بأن تحرك علي (4) ابن يوسف غازيا في حفل عظيم من الجند والمثمين وجماعة المطوعين نحو طليبة ، فوصلوا إليها ضحوة يوم الخميس الثالث عشر من المحرم من السنة المذكورة ، فقاتلوها ذلك اليوم ، واحتس (4) الناس المدينة ليلة الجمعة ، ثم أصبحوا فقاتلوها أشد قتال ، واجتهد (5) الكفار في الدفاع وكان الوصول إلى سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها ، إلى أن خرق المسلمون السد ، فسرب الماء عن السور ،

(1) هو أبو العباس أحمد الملقب بالمستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المقتدي بالله عبد الله ابن أبي العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله سنة 487 ، وتوفي سنة 512 .

(2) ولي علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي على إفريقية سنة 509 وتوفي سنة 515 ، وعلى هذا فإنه ليس صحيحا ما يذكره ابن القطان من أنه كان أميرا في تلك السنة (501) ، والمعروف أن تميم بن المعز بن باديس جد علي هذا هو الذي كان في ذلك الوقت لا يزال أمير إفريقية إذ أنه توفي سنة 502 وخلفه ابنه يحيى الذي ولي الإمارة حتى سنة 509 ثم خلفه ابنه علي في تلك السنة ولا نظن مثل ذلك يغيب على مؤرخ للمغرب كابن القطان ، ولعل التبعية في مثل هذا الخطأ إنما تقع على الناسخ أو ربما كانت ترجع إلى الاضطراب في ترتيب الحوادث التاريخية على نسق السنين .

(3) عن غزوة طليبة المذكورة انظر كذلك الحلل المشوية (ص 85) ؛ وروض القرطاس ص 171 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب القسم المراتبي 52 ؛ وقد استفاد أوشي من الاخبار الجديدة التي أمدها بها ابن عذاري وابن القطان في كتابة بحث جيد حول هذه الغزوة وقارن ذلك بما كتبه المؤرخون المسيحيون (انظر مقاله عن « علي بن يوسف ... » ص 82 - 85 وكذلك مقاله « روض القرطاس والمرابطون - دراسة نقدية » . مجلة إسبريس سنة 1960 (ص 513 - 541) ، انظر ص 535) .

(4) كذا في الأصل ، وأظن الصواب « واحتش » أي أحاطوا بها .

(5) في الأصل : واشتهد .

وتداعى الناس على القتال ، وكان ابن حمدان ⁽¹⁾ يعرض الناس على الجدل والاجتهاد .

ولما ثلّم السد ، وقل ماء النهر بإزاء الباب - وذلك يوم السبت - اقتحم المسلمون عليهم ، ودخلوها عنوة ، وقتلوا جميع من فيها من النصارى ، واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين . ولجأ بعض النصارى إلى قصبتها ، وتحصنوا فيها إلى أن جن عليهم الليل ، فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على وجوههم ، فقتلهم المسلمون وتطرفوهم ⁽²⁾ ، ثم صاروا إلى حصن « قنالش » ودخلوه عنوة . فهذه أيضا لهم غزوة وفتح ثان .

وكانت في شوال من هذه السنة غزوة أخرى قتل فيها ألف من المسلمين ، وحرقت إحدى وستون قرية .

[إحراق كتاب « الإحياء »]

ومن أخبار هذه السنة إحراق كتاب « الإحياء » : ⁽³⁾

في أول عام ثلاثة وخمسة عزم ⁽⁴⁾ علي بن يوسف - عن إجماع قاضي قرطبة أئى [عبد الله محمد بن] ⁽⁵⁾ علي بن حمدان وفقهائها - على إحراق كتاب أئى حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بـ « الإحياء » ، فأحرق في

(1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدان التغلبي ، قاضي الجماعة بقرطبة ، ولد في سنة 439 ، وتولى القضاء في قرطبة سنة 490 ، وكانت وفاته ، سنة 508 (وسيذكره ابن القطان في وفيات هذه السنة) انظر ابن بشكوال : الصلة ترجمة 1254 .

(2) لم ير الفعل متعديا ، وإنما يقال « تطرف عليه أى غار » .

(3) عن إحراق المرابطين لكتاب « الإحياء » انظر الحلل المشوية ص 104 - 105 ؛ وكذلك كتاب أوبئي : تاريخ الدولة الموحدية 583/2 - 586 وانظر كذلك الوثيقة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس حول ذلك في مقاله « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين » - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديريد - المجلد الثالث سنة 1955 ص 107 - 113 والمراجع المذكورة .

(4) في الأصل عمر .

(5) زيادة تقتضيها صحة الاسم .

رحبة مسجدتها على الباب الغربي على هيئته بمجلوده بعد إشباعه زيتا . وحضر لذلك جماعة من أعيان الناس ، ونفذت كتبه إلى جميع بلادهم أمراً بإحراقه حيثما وجد . وأخذت منه نسخ ⁽¹⁾ من أيدي أصحابها كان معمول الغزالية عليها ، منها كتاب ميمون بن ياسين ⁽²⁾ توعده علي بن يوسف على إحضاره ، فأحضره له . ولقد ألقوا الكتاب المذكور ، ومنها « كتاب ابن العربي » ⁽³⁾ حمله مع نفسه إلى الجزيرة ⁽⁴⁾ المحضرة ثم أمر بحله في الماء ، فحل معظمه ، وفقد سائرته ، وتوالى الإحراق على ما اشترى منه ببلاد المغرب بقية ذلك العام .

قلت :

وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله سببا

(1) في الأصل : نسخا .

(2) هو أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللعوني ، أصله من صحراء المغرب وسكن المرية ، وعنى بالرواية والسمع وجمع الكتب ، وكانت له رحلة حج فيها وسمع بمكة صحيحي مسلم والبخاري ، ثم عاد إلى الأندلس فسمع الناس منه بإشبيلية وغيرها ، وكان ممن حدث عنه ابن حبيش وابن بشكوال وأبو بكر ابن خير وابن سعادة وتوفي بإشبيلية سنة 530 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 1137 ، ط . كوديرا) ؛ وقد ذكره أبو البيهقي في موضعين من كتابه عن أخبار المهدي (ص 84 ، 128) ، ويهملهم مما قاله البيهقي أنه كان إلى جانب علمه وعنايته بجمع الكتب من كبار قواد المرابطين وعظماء رجالهم ، وهو الذي بني حصن تاسغيموت الذي كان من جملة الحصون التي أدارها المرابطون حول مواقع الموحدين لكي يتخذوا منها مراكز لمهاجمتهم .

(3) هو الفقيه المشهور أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي ، ولد سنة 468 ورحل إلى المشرق مع أبيه سنة 485 ، فتلذذ على أبي بكر الطرطوشي بمصر ، ودخل الشام والحجاز والعراق . وصحب ببغداد من علمائها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وعاد إلى الأندلس سنة 493 ، فدخل بلده إشبيلية بعلم كثير وتولى القضاء بإشبيلية ثم صرف عنه ، وكانت وفاته سنة 543 بالمغرب ، ودفن بفاس ومؤلفاته كثيرة نشر بعضها (انظر في ترجمته : ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1297 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 281 - 284 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 141/4 ؛ ابن سعيد : المغرب 249/1 - 250 ؛ النباهي : المرقبة العليا ص 105 - 107 ؛ ابن حلكان : وفيات الأعيان 296/4 - 297 ؛ المقرئ : نفع الطيب 25/2 - 43) .

لزوال ملكهم ، ⁽¹⁾ وانتشار سلكهم ، ⁽²⁾ واستئصال شأفتهم على يد هذا الامير العزيز القائم بالحق ، المظهر ⁽³⁾ للسنة ، المحيي للعلم ، نصر الله تعالى لواءه ، وكبت أعداءه .

[لقاء الغزالي وابن تومرت]

وعندي في [ذلك] ⁽⁴⁾ حكاية طريفة . وهي هذه ⁽⁵⁾ :

أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن رحمن العراقي رحمه الله تعالى عن بعض أشياخه ⁽⁶⁾ قال :

أخبرني الحاج الصالح المسن فلان من اهل فاس قال : كنت في حلقة أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى التي حلقتها للتدريس . فجاء ذات يوم رجل كثر

(1) في الأصل : ملكه .

(2) في الأصل : سكله .

(3) في الأصل : المطهور .

(4) زيادة يقتضيه السياق .

(5) حول لقاء ابن تومرت للامام أبي حامد الغزالي اختلف المؤرخون ، فمنهم من يثبت ذلك مثل ابن القطان هنا وابن صاحب الصلاة (كما نقل عنه صاحب الحلل الموشية ص 104) وابن أبي زرع (روض القرطاس 172) والسلوي (الاستقصا 88/2) وابن خلكان (وفیات الاعيان 46/6) والزرکشي (تاريخ الدولتين ص 2) وابن أبي دينار (المونس في اخبار إفريقية وتونس ص 107) حيث يذكر ان ابن تومرت لازم الغزالي ثلاث سنين) ؛ ومنهم من يشير إلى هذا اللقاء في تحفظ لا يخلو من الشك مثل عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 245) وابن خلدون (العبر 226/6) والتويري (نهاية الارب - الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، نشر وترجمة المستشرق الأستاذ جاسبار رميرو في مجلة المركز التاريخي للابحاث الخاصة بمملكة غرناطة - سنة 1918 ص 187 - 188) ؛ ومنهم من انكر هذا اللقاء مثل ابن الاثير (الكامل 294/8) . وقد وفي هذه المسألة حقها من البحث الاستاذ أويثي في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (32 - 29/1) . وانتهى إلى أن قصة هذا اللقاء موضوعة وأن القرائن التاريخية تدل على استحالة وقوع ذلك .

(6) أورد الخبر التالي صاحب الحلل الموشية مع خلاف يسير في بعض ألفاظه نقلا عن ابن صاحب الصلاة الذي يرويه عن « عبد الله بن عبد الرحمن العراقي » شيخ مسن من سكان فاس (الحلل ص 104 - 105) . وأورده أيضا الوثرسي نقلاً عن نظم الجمان (المعيار المغرب 185/12) .

كث اللحية على رأسه كرزى صوف وهو مُحْتَبٍ بكساء . فدخل المدرسة وحياها بالركعتين ثم أقبل إلى الشيخ أبي حامد رحمه الله تعالى فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فقال : رجل من « أهل المغرب الأقصى » فقال له : دخلت قرطبة ؟ قال : ⁽¹⁾ نعم . قال : فما فعل فقهاؤها وكيف حال إخواننا في الله تعالى ؟ فقال بخير . قال : هل انتهى إليهم كتاب الإحيا ؟ قال ؛ نعم . قال ؛ فماذا قالوا عنه ؟ فوجم الرجل وخجل ولزم الصمت حياء . فعزم عليه الشيخ ليقولن ما طراً ⁽¹⁾ . فقال إنه قبيح أيها الإمام ! فاشتدت عزمته عليه في أن يقول ما طراً فقال له : القوم جهال مقلدون لم يعرفوا قدره . ورفعوا إلى سلطان العدو والأندلس في شأنه وأنه ينبغي أن يحرق فأمر بإحراقه ، فجمعت النسخ التي في البلاد منه ، وأحرقت في كل بلد . قال : فتغير وجه أبي حامد . ومد يديه للدعاء والطلبة يؤمنون ، فقال في دعائه : اللهم مزق ملكهم كما مزقوه ، وأذهب دولتهم كما حرقوه ! فقام رجل من الحلقة كان يقال له في ذلك الوقت أبو عبد الله السوسي فقال : ادع ⁽²⁾ الله أيها الإمام أن يجعل ذلك على يدي ؛ فتغافل عنه أبو حامد رحمه الله تعالى . فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذا بشيخ ⁽³⁾ [آخر على شكل الأول ، فسأله الشيخ أبو حامد ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم . فدعا بمثل دعائه الأول ، فقال له المهدي : على يدي إن شاء الله ، فقال : اللهم اجعله على يدي ! فقبل الله دعاءه . فخرج أبو عبد الله ابن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب ، وقد علم أن دعوة الله لا ترد] .

[أخبار سنة 508]

* باب أخبار سنة ثمان وخمسمائة :

من ذلك وفاة القاضي أبي عبد الله ابن حمدين ⁽⁴⁾ لثلاث بقين من الحرم

(1) في الأصل : طرى .

(2) في الأصل : أدعو .

(3) يتقطع النص هنا ، وقد استكملنا بقيته من « الحلل الموشية » ص 104 - 105 .

(4) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين الذي سبق أن عرضنا له (انظر ص 70 حاشية 1) .

منها بعد مرضه خمسة عشر يوماً بالفواق ، وحزن الناس عليه ، وكان محبباً لهم وللمتلثمين ، وكان حاز في المكانة لديهم ما لم يحزه غيره ممن سلف ، وكان جميل الطريقة ساعياً في كل خير : قطع الضرائب والمعاون عن أهل قرطبة ، وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة ، لأن ابن تاشفين [كان] ⁽¹⁾ لا يخالفه في شيء ، وكان ذكي الفهم سريع الخاطر ، رقيق الطبع ، فقيهاً أدبياً ، بليغاً شاعراً . كاتباً فاضلاً ، ورعاً ديناً حذراً من العواقب ، وولاية ولده أبي القاسم ⁽²⁾ القضاء بعده .

ووفاة مزدلي ⁽³⁾ ، وأبي الأصبع ابن حزمون ⁽⁴⁾ ؛ والأديب أبي الحسن ابن سراج ⁽⁵⁾ ، وكان كاتباً شاعراً ، من شعره :

(1) زيادة يقتضيه السياق .

(2) أبو القاسم أحمد بن محمد بن حمدين التغلبي ، ولد سنة 472 ، وولى قضاء الجماعة بقرطبة مرثين ، وكانت وفاته سنة 521 (انظر ابن بشكوال : الصلة رقم 172) .

(3) هو القائد المرابطي المشهور أبو محمد مزدلي بن سلتكان الذي استرجع للإسلام مدينة بلنسية سنة 495 بعد أن استولى عليها « السيد القنيطور » نحو ثمانين سنوات ، وقد تقلب مزدلي في مختلف مناصب القيادة والولاية بالأندلس ، وكان من آخر هذه المناصب حكم غرناطة وقرطبة والمرية في سنة 504 ، وظل يقود الحملات لجهاد المسيحيين القشتاليين حتى استشهد أخيراً في ميدان المعركة في شوال سنة 508 (مارس سنة 1115 م .) . وذلك بعد حملته المظفرة التي دوخ فيها طليطلة واكتسح بسائطها في سنة 507 . (انظر ابن عذارى : البيان المغرب - القسم المرابطي ص 26 ، 29 ، 41 ، 42 ، 56 ، 57 ، 60 ، 61 ، والإحاطة لابن الخطيب 274/3 - 275 ؛ ومقال أويثي : علي بن يوسف ... ص 80 ، 88 ، 90 - 92 ، 110 - 113 ؛ « ومقالنا » وثائق تاريخية جديدة ... ص 157) .

(4) أبو الأصبع عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون القرطبي كان فقيهاً مشاوراً في الأحكام حافظاً للرأي بصيراً بالفتيا ، وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، ولد سنة 440 ، وتوفي في شعبان سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 795) .

(5) الأديب أبو الحسن أو أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج القرطبي ولد سنة 439 ، وأخذ عنه الناس كثيراً ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 518 ؛ ابن سعيد المغربي 116/1 - 117 والمراجع المذكورة في هذا الكتاب ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصديقي ، رقم 295) . وقد روى كل من ابن بشكوال وابن الأبار البيهقيين المذكورين هنا من شعره مع خلاف يسير في الرواية .

بُثَّ ⁽¹⁾ الصنائع لا تحفل ⁽²⁾ بموقعها لآمل شكر الإحسان أو كفرا « الغيث ليس يبالي ⁽³⁾ حيثما انسكبت به الغمام ترباً كان أو حجراً 41 ب

وهجوم الروم على ميورقة ودخولهم إياها عنوة ، وقتلهم من فيها ، وسبيهم أهلها ، واحتوائهم على جميع ما فيها بعد حصار شديد ؛ وعمرت مائة وعشرون مركباً ، فوصلت إليها ، فوجدت العدو قد أخلاها ⁽⁴⁾ .

والعباسي في هذه السنة المستظهر كما كان .

وأمر إفريقية يحيى بن تميم ⁽⁵⁾ .

وأمر مصر المستعلي ، ويقال بأن أخاه سمه ، فقام أخوه وتسمى الأمر بأحكام الله ، وأبقى الأفضل على حجابته ⁽⁶⁾

(1) في الأصل : بت .

(2) في الأصل : تجعل .

(3) في الأصل : يتالى .

(4) عن استيلاء الروم (ويعني بهم هنا أهل جنوه وبيزة وقطولونية) علي ميورقة ثم استرداد المرابطين لها انظر ابن خلدون : العبر 165/4 ، 242/6 ؛ وابن عذارى : البيان المغرب - القسم الخاص بالموحدين بيروت 1985 ص 239 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 157 - 163 والمراجع المذكورة في ذلك الموضوع .

(5) ولد يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي بالمهدية سنة 457 وولى إفريقية سنة 501 بعد وفاه أبيه تميم ، وتوفي سنة 509 مقتولاً في قصره (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 304/1) .

(6) هذا النص مضطرب ، ويبدو أن خطأ وقع فيه ، فالمعروف أن الخليفة الفاطمي المستعلي وهو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله وهو سادس خلفاء مصر الفاطميين ولي الخلافة سنة 487 (وكان مولده سنة 467) وقتل سنة 496 ، وكان القائم بأمر الدولة في عصره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، وخلفه ابنه (لا أخوه) الأمر بأحكام الله أبو علي منصور ، ولي وهو صبي سنة 496 (وكان مولده في سنة 490) وقتل سنة 524 . والذي نعرفه من المراجع التاريخية أن نزاراً أخا المستعلي نازعه على الخلافة وقال إن أباه المستنصر عهد إليه بها ، فهرب إلى الإسكندرية ودعا لنفسه بها ، ولكن الأفضل هزمه ومزق جيوشه ، ويقال إن المستعلي بعد أن ظفر به في سنة 488 بنى عليه حائطاً ، ويزعم أصحابه الذين يدينون بإمامته أنه تحت هذا الحائط حتى يموت موعد خروجه ؛ ويسمى هؤلاء باسم « النزارية » وطائفتهم هم الذين يعرفون باسم الدروز .

باب أخبار تسع وخمسمائة :

و [من] ⁽¹⁾ ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى في غزوة عبد الله بن فاطمة صاحب إشبيلية ⁽²⁾ .

وأمر إفريقية في هذه السنة أيضا يحيى بن تميم المذكور في السنة قبلها .

* باب أخبار سنة إحدى عشرة وخمسمائة :

[3]

فمنها وصول الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى بجاية ⁽³⁾ ، فأمر بالمعروف ، فسمى أمره إلى العزيز بن الناصر ⁽⁴⁾ صاحبها ، فهم به ، ثم تركه عصمة

(1) زيادة يقتضيه السياق .

(2) عن عبد الله بن فاطمة انظر ص 65 (حاشية 3) ولم تفدنا المراجع الأخرى عن غزوة هذا القائد في سنة 509 ، وكان قد عوض في أول هذه السنة عن ولاية فاس بإشبيلية (البيان المغرب - القسم المربط ص 62) ، على أن ابن عذارى حدثنا في أخبار تلك السنة عن معركة عنيفة بين المرابطين والنصارى ونورد فيما يلي نصه عن ذلك (ص 61) : « وفي سنة 509 ضرب العدو على نظر قرطبة ، فخرج إليه محمد بن مزدي في عسكره وبادر في الاستعجال لاثره ، فلحق بالعدو ، ونشبت الحرب ، وصبر المسلمون ، فاستشهد محمد بن مزدي والأمير محمد بن الحاج والأمير أبو إسحاق ابن دانيه والأمير أبو بكر ابن واسينو ، ومات [من] الأمراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس ، وذلك يوم الخميس مستهل صفر من السنة المؤرخة ، فكان مصابا عظيما وخطبا جسيما ، واتصل الخبر بأمير المسلمين علي فولى قرطبة الأمير أبا بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عمه شقيق أبيه لاه ، فنفذ إليها وقدم عليها » ، ولا نرى في هذا النص ذكراً لاشتراك ابن فاطمة في تلك الواقعة .

(3) كانت رحلة ابن تومرت إلى بجاية في أواخر سنة 511 على ما يذكر ابن خلكان نقلا عن ابن القفطي (وفيات 47/5) وذلك على خلاف ما يقول ابن أبي زرع من أن ذلك كان في أول ربيع الأول سنة 510 روض القرطاس ص 173 ، وما يذكره ابن خلدون من أن وصوله إلى بجاية كان في سنة 512 (وحول تحقيق ذلك انظر أويشي : تاريخ الدولة الموحدية 40/1) .

(4) كذا ، وقد كان صاحب بجاية في ذلك الوقت هو العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (أو علناس) ، ولي بعد اخيه باديس بن المنصور ، وتوفي سنة 515 (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 302/1 - 309) ، ولعل ابن القطان نسبته إلى جده .

من الله تعالى لقوله لما « منحه من إنقاذ البلاد من الجور والفساد ، وتلافى العباد ، ⁽¹⁾ فخرج الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من بجاية إلى رباط خارجها وعلى القرب منها يقال له رباط ملالة ⁽¹⁾ فكان رضي الله تعالى عنه حافظا عالما بالمذاهب متصوراً ألعياً نقاباً ، ⁽²⁾ فعمر مجلسه الطلبة والصالحون ، فكان رضي الله تعالى عنه مأوى لاهل الخير والعلم ، فكثير رضي الله تعالى عنه بهم ، وتعلق به هنالك عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية ؛ وكان لا يراه أحد ولا يسمع به إلا أشرب حبه رضي الله تعالى عنه ، حبا وضع الله تعالى عليه وألبسه رداءه ، وصير جميع الخلائق به أحباءه وأوداءه ⁽³⁾ ، لما اختصه به من العلاء والجلال ، وأهله له من احتياز درجات السنا والكمال .

ولما مات التونسي برباط تلمسان اتفق أصحابه المواظبون لمجلسه أن يجلبوا إلى مكانه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فوجهوا إليه سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابا محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى ، وكان أحد طلبة التونسي المذكور الذين يحضرون معه عنده ، * ويذكر ويتذاكر مع الطلبة ⁽⁴⁾ .

أ 4

(1) في خروج ابن تومرت إلى رباط ملالة انظر ابن خلكان : الوفيات 47/5 وابن خلدون 227/6 ، وقد وصف هذه الرحلة بالتفصيل أبو بكر البيهقي (أخبار المهدي ص 52) .

(2) النقاب بكسر النون هو العلامة .

(3) في الأصل : أحباؤه وأوداؤه .

(4) تضاربت آراء المؤرخين في الصورة التي تم فيها اللقاء رجلي الدولة الموحدية ابن تومرت وعبد المؤمن وفي مكان هذا اللقاء . انظر حول ذلك القصة المفصلة التي يرويها البيهقي (ص 55 - 57) وابن أبي زرع : روض القرطاس 172 ؛ وابن خلدون : العبر 227/6 ؛ والنويري : نهاية الأرب ص 188 .

ويذكر أويشي في بحثه لهذه المسألة أن ذلك اللقاء كما يصوره لنا ابن القطان هنا أقرب إلى المعقول من تلك القصة المسرحية المصطنعة التي ابتدعها البيهقي . وابن خلدون يتفق مع ابن القطان في مجمل هذا الخبر . (انظر تاريخ الدول الموحدية 43/1 - 46) .

ثم هاجر الإمام رضى الله تعالى عنه ، وحل بجبل إيجيليز ،⁽¹⁾ ومع ذلك اتصل بعلى بن يوسف أن أهل قرطبة قاموا على المثلثين وأخرجوهم . وخاطب أهل قرطبة مخاطبة تفزيع⁽²⁾ وتهديد ، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض إليهم فى السنة التى بعد هذه⁽³⁾ .

وأقام الإمام بجبل إيجيليز⁽¹⁾ ثلاثة أعوام يدرس العلم ، ويهاجر إليه السعداء ، ويعلم المهاجرين ، ويخاطب القبائل رضى الله تعالى عنه . والعباسي فى هذه السنة المسترشد بالله تعالى⁽⁴⁾ .

وفى هذه السنة مات أمير إفريقية علي بن يحيى بن تميم ، وولى ولده حسن⁽⁵⁾ . ولم يكن فى أمره يحسن الطريقة إلى أن دخل عليه الروم المهدي

(1) فى الأصل : الجبلين

(2) يمكن ان تكون كذلك : تقريع .

(3) لم يرد قبل ذلك بيان السنة التى يسرد المؤرخ حوادثها ، على أنها واضح من السياق أنه يعنى سنة 515 كما أثبتنا فى العنوان الذى أثبتناه بين الحاصرتين .

(4) هو أبو منصور الفضل الملقب بالمسترشد بالله بن الخليفة أحمد المستظهر بالله ، بويغ بالخلافة بعد موت أبيه فى شهر ربيع الآخر سنة 512 ، وكانت وفاته فى سنة 529 ، ومولده فى حدود سنة 485 .

(5) الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي . ولد بمدينة سوسة فى رجب سنة 502 ، وعهد إليه أبوه بالأمر فى حياته ، فلما توفى سنة 515 بويغ بإمرة إفريقية ، وما زال حتى دخل عليه المهدي نصارى صقلية فى أيام ملكها رجار الثاني فى سنة 543 ، فالتحق الحسن بعرب رياح وكبيرهم محرز بن زياد ثم أراد الرحيل إلى مصر ليلتجئ إلى الخليفة الفاطمي الحافظ فأرصد له جرجى صاحب أسطول رجار ، فأجاز إلى بونة ثم إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر وما زال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن علي الموحد سنة 547 ، فوالاه الحسن ولحق به وصحبه إلى إفريقية فى غزاته الأولى التى استخلص فيها المهدي من أيدي النصارى سنة 555 ، ثم فى غزاته الثانية سنة 557 ، وأقام الحسن بالمهدي بعد أن أقطعه إياها عبد المؤمن ، ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن إلى حضرة ملكه مراکش ، فارتحل باهله إليها ، وهلك فى طريقه بتامسنا سنة 563 ، وهو آخر من ملك إفريقية من أسرته ، وعلى يده انقرضت دولتهم .

سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة⁽¹⁾ .

« وفيها مات الأفضل⁽²⁾ وزير المستعلى صاحب مصر والأمر بأحكام الله ،⁽³⁾ وذلك أن الأمر بأحكام الله لما أبقي الأفضل على حجابته قيل له : مالك ملك مع الأفضل ! فدى له رجالا وأمرهم بقتله . ووعدهم بالعطاء الجزيل ، وكانوا مجهولين ، فلما كان عام أربعة عشر رصده فى زقاق ضيق كان متى خرج خطر عليه ، وكان فى الزقاق قرن ، فلما أحسوا بأنه قرب من القرن خرجوا من القرن فقتلوه ، وبأدهم الرجال فقطعوا بالسيوف ، وسار الأفضل إلى داره وبه رمق ؛ فلما علم الأمر بالأمر جاءه وكأنه زائر له ، فخرج عنه الناس ، وبقي معه وحده ، فقيل إنه جعل⁽³⁾ على وجهه مخدة ، وقعد عليه حتى طفئه ،⁽⁴⁾ ولم يخرج من عنده إلا وهو قد مات ، فقدم رجلا للحجاجة⁽⁵⁾

(1) عن فتح رجار ملك صقلية النصراني للمهدي انظر ابن عذارى : البيان المغرب 313/1 ؛ ابن خلدون : العبر 162/6 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 217/6 - 218 ؛ التويرى : نهاية الأرب (نشر جاسبار رميرو) 166/2 - 168 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام (القسم الخاص بشمال إفريقيا) بتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ محمد إبراهيم الكتانى ط . الدار البيضاء 1964 ص 131 ، والترجمة الاسبانية (رافايلا كاستريو) ص 87 والمراجع الواردة فى الحاشية .

(2) هو الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن بدر الجمالي الأرمني وزير مصر ومدبر ممالكها ، ولى الحجاجة بعد موت أبيه فى أيام الخليفة المستعلى الفاطمي ، واستبد بالملكة حتى توفى المستعلى ، فولى الخلافة بعده الأمر بتدبير من الأفضل ، وقام الحاجب بالحجر على الخليفة متبعا فى ذلك سيرة أبيه مع المستنصر والمستعلى من قبل ، وما زال حتى ضاق الأمر بذلك فدير مؤامرة لقتل الأفضل (انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 222/5) هذا ويضيف ابن القطان هنا تفاصيل جديدة عن اغتيال الأفضل .

(3) فى الأصل : عمل ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(4) أي ازهق روحه .

(5) ينقطع النص هنا ، إذ يلي ذلك خرم لا ندرى عدد الأوراق التى ذهبت فيه ، على أن الذى نعرفه من كتب التاريخ المصري أن الخليفة الأمر استوزر بعد قتل الأفضل أبا عبد الله المأمون بن البطائني (انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة 229/5) ، ولكن الأمر لم يلبث أن قبض على المأمون هذا وعلى أخيه المؤمن سنة 519 وصادر أموالهما ثم قتلهما (وانظر حول اغتيال الأفضل والاحداث التى تبعت ذلك كتاب الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية - الطبعة الثانية ص 173 - 175 والمراجع المذكورة فى ذلك الموضع) .

٩١ « [عن (1) أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما : (2) قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رئوسهن كأسنمة (3) البخت (4) المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها (5) .

وقوله صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم لأبي هريرة رضى الله تعالى عنه : إن طالت لك مدة أوشكت (6) أن ترى قوما يغدون في سخط ، ويروحون في لعنة ، في أيديهم مثل أذناب البقر سياطا كانت عندهم ليست عند أحد سواهم (7) .

و [من] نعمه (8) رضي الله تعالى عنه عليهم ما أخذهم (9) بقراءة

(1) قام الأستاذ ليفي بروفنسال بنشر قطعة من هذا المخطوط تبدأ بهذه الورقة (رقم 9) حتى وجه الورقة (رقم 14) مع ترجمة إلى الفرنسية وتعليقات ، وذلك تحت عنوان « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » ، ونشرت هذه المجموعة من النصوص في مجلد احتوى على بعض الدراسات الاستشرافية وأهدي إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس سنة 1925 .

(Lévi-Provençal : Six Fragments inédits d'une chronique anonyme du début des Almohades , Mélanges René Basset , t. II, pp. (335-393) .

(2) ما بين الحاصرتين تنمة الحديث المنسوب إلى النبي (صلعم) وقد استكملناه مما جاء في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي (نشر لوسيانى وتقديم جولد تسيهر - الجزائر سنة 1903 ص 260) في الفصل المعنون له بقوله « باب في بيان طوائف المبطلين من المثلثين والمجسمين وعلاماتهم » . وانظر هذا الحديث أيضا في كتاب جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير ، بشرح عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير 208/4 - 209 (ط . القاهرة سنة 1938) .

(3) في الأصل : رؤسهم كاسنة .

(4) هي الابل الخراسانية .

(5) لم يذكر هنا تمام الحديث ، وبقية : وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

(6) في الأصل : أو شكت .

(7) ورد هذا الحديث أيضا في كتاب « أعز ما يطلب » ص 260 - 261 .

(8) في الأصل : ونعم .

(9) في الأصل : واخذهم .

حزب واحد منه في كل يوم إثر صلاة الصبح بعد (1) حزب من القرآن ، وهو سفر مجلد (2) يحتوي على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان والإسلام والصفات وما يجب لله تعالى وما يستحيل ويجوز عليه والإيمان بما أخبر به النبي ﷺ وملائكته الكرام وسلم بما طريقه الإخبار بما أعلمه الله تعالى من غيبه ، ولمع من « أصول الدين ومعرفة المهدي وأنه الإمام ، ووجوب الإمامة ، ٩١ ب وما يجب له من التعزيز والتوقير وأن الهجرة إليه واجبة لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال ، وأن من سمع بأمره وجبت عليه الهجرة إليه . ولا عذر له بوجه من الوجوه ، ويكفر من لم يصل [عليه] (3) ولم يطعه ، وذكر لهم فيه الآداب بينهم ، وعلامة المؤمن ، وما يجب على المؤمن فعله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخى بينهم فيه ، وذكر لهم علامة المنافقين وبينها بأوضح بيان ، وجعل القتل في ثمانية عشر صنفا كالكذب والمداينة وأمور يطول الكتاب بذكرها ؛ وحفظهم إياه ورباهم به وسهل عليهم التعليم بنفسه وبأعيان أصحابه . وجعل على كل عشرة نقيبا (4) .

(1) في الأصل : بعد اثر .

(2) لعل ابن القطان يعنى بهذا السفر كتاب « أعز ما يطلب » الذي سلفت الإشارة إليه كما يدل على ذلك نص عبد الواحد المراكشي في المعجب (ط . سعيد العريان) ص 255 وكتاب الحلل الموشية ص 109 . وانظر مناقشة الدكتور احمد مختار العبادي لحقيقة هذه الكتب التي كان ابن تومرت يعنى بأخذ الموحدين بقراءتها وتدارسها في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية » (مجلة تطوان - العدد الخامس - سنة 1960 - ص 157 والخاصية رقم 72 - 73) .

(3) في الأصل : يصلى وما بين الحاصرتين زيادة يقتضيه السياق .

(4) ورد في كتاب « المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب » (أصحاب ابن تومرت) الذي نشره ليفي بروفنسال ضمن مجموعة من الوثائق الموحدية تفصيل وإف لهذه الطبقات (انظر ص 32 - 48) . كذلك جاء في كتاب « الحلل الموشية » نقل يكاد يكون بالحرف لمعظم هذا النص لطبقات الموحدين ، إلا أنه جعلها ثلاث عشرة طبقة لا أربع عشرة كما هو هنا (انظر ص 89 من النص العربي ، وتعليق أمبروسيو أويشى في ترجمته الاسبانية للحلل ص 130 - 131 هذا والنص الذي بورده ابن القطان حول هذا الموضوع إنما هو على الأرجح مما نقله عن المؤرخ أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم كما سنرى من تعليق ابن القطان عليه فيما بعد .

[طبقات الموحدين]

فالصنف الأول : العشرة ، يعنى أهل الجماعة .

والثاني : أهل خمسين .

والثالث : أهل سبعين .

والرابع : الطلبة .

والخامس : الحفاظ ، وهم صغار الطلبة .

والسادس : أهل « الدار » .

والسابع : هرغة .

والثامن : أهل تينملل .

والتاسع : جدميوة .⁽¹⁾

والعاشر : جنفيسة .

والحادى عشر : هنتاتة .

والثاني عشر : أهل القبائل⁽²⁾ .

والثالث عشر : الغرّات⁽³⁾ ، وهم الأحداث الصغار الأميون .

(1) في الأصل : جدميرة .

(2) يقصد بالقبائل ما حول مدينة مراکش من قبائل ، وهي هزمير وهيلانة وهزرجة (انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 425) .

(3) قرأ ليفي برونسفال هذه الكلمة « الغزاة » ، وترجمها بلفظ champions وفسرها بأنهم الحرس الخاص للإمام ، وقد نقل عن ليفي برونسفال ذلك من اعتمد عليه من الباحثين ، مثل أويشي في ترجمته للحلل الموشية (ص 130 ، حاشية رقم 5) ، بل أضاف هذا إلى ذلك أنه يعنى الرماة arqueros ولكننا لا ندري كيف يكون « الغزاة » هم الأحداث الصغار الأميين على ما جاء في تفسير ابن القبطان نفسه ولا كيف يضعهم المؤلف في الطبقة الأخيرة إذا كانوا هم حرس الإمام الخاص ، ومن رأينا أن كل هذه التخرجات إبعاد في التأويل أدى إليه خطأ في قراءة الكلمة ، إذ أن الصواب فيها « الغرات » جمع غر وهو الصبي الصغير .

ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر ؛ وأخذهم في تارك امتثال أمر من يسمع أمره بالقتل ، وبايعوه⁽¹⁾ على هذا ، وكان - رضى الله تعالى عنه - يعظهم في كل وقت ويذكرهم ، ومن لم يحضر أدب ، فإن تمادى قتل ، وكل من لم يحفظ حربه عزز بالسياط ، وكل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسوط المرة والمرة ، فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل ، ومن داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل ، وشدد في المعاملة ، وضبط « أمرهم » فيها فأنضبط . وأقاموا على ذلك مدة يستامع الناس تقلب أحوالهم فيها .

وقال ابن الراعى :

لما أحق الله الحق ، وأبطل الباطل - يعنى في المذاكرة التي كانت بأغامت⁽²⁾ - خلع الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه مبايعة علي بن يوسف عن أعناق تابعيه وأصحابه ، وأعلن الجميع بخلعه ، وكان بعضهم يبرح به في المساجد . قلت :

أما ما ذكره اليسع⁽³⁾ من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحا ،

(1) في الأصل : وبايعوه .

(2) لعل ابن الراعى يشير بهذا النص إلى ما وقع بأغامت وريكة حينما حلها محمد بن تومرت في طريقه من مراکش ، إذ يقول البيهقي إنه كان يقرئ في نفس هذا المسجد أيضا فقيه يدعى عبد الحق بن ابراهيم كان يضيق بالمهدي ويحسده « وأقبل إليه فأفحمه المعصوم ، وقامت أغامت فرقتين : مؤمن وكافر ... » (أخبار المهدي ص 70) .

(3) هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع الغافقي الجبالي البلسني ، سكن المرية ومالقة ، ثم كتب لبعض الأمراء في شرق الأندلس ، وقد رحل اليسع إلى المشرق في سنة 560 واستقر بمصر ، واتصل بصلاح الدين الأيوبي الذي قربه إليه وكان يكرمه ويشفعه في حوائج الناس ، وتوفى اليسع بمصر سنة 575 . وقد ألف كتابا سماه « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين ابن أيوب ، وقد نقل المقرئ عنه في عدة مواضع من نفح الطيب وكذلك صاحب « الحلل الموشية » (انظر ترجمته ونقولا عنه في النفح 1/127 ، 164 ، 208 ، 265 ، 672 ، 379/2 ، 487 ، 397/3 ، 314/4 ، 455 ، وابن الأبار : التكملة ، ترجمة 2112 ؛ ومعجم أصحاب أئى علي الصديقي ، ترجمة 315 ؛ وبونس =

ولإنما أعرف العشرة الجماعة وأهل الخمسين وسبعة هم أهل مشورته ، وأما العشرة فقد مر ذكرهم (1) .

وأما الخمسون فهم :

أما من قبيل **هرقة** فسته رجال ، أبو مروان عبد الملك بن يحيى وأبو زيد عبد الرحمن بن سليمان ، وإسحاق - ولم أجد اسم أبيه - وأبو زكريا يحيى بن يومور ، ويعزى (2) بن مخلوف ، وأبو زيد عبد الرحمن بن داود (3) .

وأما من قبيلة **تينمل** * فأربعة عشر ، (4) وهم : أبو عمران موسى بن سليمان القاضي ، (5) وأبو عبد الرحمن ، وسواجات بن يحيى ، وأبو بكر ابن يزمارن ، وأبو محمد عبد العزيز - لا أدري ابن من - وعلي بن يامصل ، والحاج موسى ، ويحيى أغوات ، وعبد الله بن ينسك ، والقاسم بن محمد ، ويوسف بن مخلوف ، وأبو علي يونس .

وأما من قبيلة **هنتاة** فتلاثة : (6) أبو يعقوب يوسف بن وانودين ، وداود بن عاصم ، وأبو محمد بن واحدان .

= بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ، رقم 196 ، ص 242 ؛ وجونثال بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ، ص 242 ؛ الحلل الموشية ص 62 ، 82 ، 107 ، 132 ، 138 - 139 ، 146 - 148) .

(1) سيعود ابن القطان للحديث عن العشرة فيما بعد .

(2) في الأصل : يعزاء ، والتصويب عن كتاب البيذق .

(3) يبلغ عدد أهل الخمسين من قبيل هرقة على ما ذكر البيذق في كتاب الأنساب (ص 33-34) ثمانية بدلا من الستة المذكورين هنا .

(4) هم تسعة عشر على ما ذكر البيذق (ص 34) ، وهناك خلاف بين المؤلفين في أسماء هؤلاء .

(5) هو صهر عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي ابن تومرت ومتولى القضاء له ، وستترجم له عند ورود اسمه بين قضاة عبد المؤمن .

(6) في كتاب البيذق اسمان فقط ، وقد جاء اسم الثلاثة هكذا : أبو عبد الله محمد بن ويكلدان وعبد الكريم ويعقوب أفغو .

وأما من **جدمية** (1) فرجلان : أبو محمد يعيش ، وأبو حرب .

وأما من **جنفيسة** فأربعة : أبو إسماعيل ، وأبو زيد عبد الرحمن بن رحو ، وعبد الله بن الحاج ، وأبو سعيد يخلف بن الحسين (2) .

وأما من **القبائل** فرجل واحد : وهو عبد الرحمن بن ينومر (3) .

وأما من **هسكورة** فتلاثة : إسحاق بن يونس ، وعبد الله بن عبيد الله ، وأبو عبد الله بن أبي بكر * المعروف بابن يندوس (4) .

وأما من **صنهاجة** فتلاثة : أبو محمد الجراوي ، ويحيى بن وسنار (5) وإسحاق بن محمد (6) .

وأما من **الغبراء** (7) فخمسة : أبو يعقوب اللمطي ، وأبو زكرياء يحيى الدرعي ، وعبيد الله بن يوسف الزناتي ، وسليمان الجزولي ، وإبراهيم بن جامع . هكذا عددهم ابن صاحب الصلاة في كتابه (8)

(1) في الأصل : جدميرة ؛ وقد أورد البيذق أسماء أربعة رجال هم : أبو محمد العيس بن تماري ، وأبو علي سحنون بن تماري ، وأبو محمد عبد الكريم بن تماري وأبو محمد سعد الله والد إبراهيم .
(2) في البيذق أسماء أربعة كذلك ، إلا أن الاسمين الأخيرين هما : أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان وأبو زيد عبد الرحمن المعروف بآمازار .

(3) في البيذق : أبو إبراهيم إسحاق بن أبي زيد .

(4) في البيذق : المعروف بابن توندوت ، وقد زاد عليهم هذا المؤلف اسما رابعا هو : أبو محمد عبد الحق بن معاد الزناتي .

(5) في الأصل : يحيى بن سنان ، والتصويب عن البيذق ص (35) .

(6) جاء مكان هذا الاسم الأخير في البيذق : أبو الحسن علي بن ناصر .

(7) لم يشر البيذق إلى هؤلاء الغبراء ، وإنما أضاف إلى قائمته المستركين بعد التمييز (ص 35) .

(8) هو المؤرخ المشهور أبو مروان أو أبو محمد عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة الذي ترجم له ابن الأبار (التكملة ترجمة رقم 1726) ، وكانت وفاته في أواخر القرن السادس الهجري على خلاف بين الباحثين المحدثين في تاريخ ذلك على وجه التحديد . وله الكتاب المعروف باسم « المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » ،